بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[المجلس الأول]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بَعْد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم مرحبًا بوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرحبًا بطلاب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضهم بعضًا حتى يبلغ السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب، أيها الفضلاء إن قيام الدين على أمرين عظيمين: الاعتصام بحبل الله عَزَّ وَجَلَّ وعدم التفرق، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والاعتصام بحبل الله لزوم الكتاب والسنة، وعدم الروغان عنهما أبدًا، وينبغي لمن حقق الأمر الأول أن يحرص على تحقيق الثاني.

فيحرص على الجماعة، والألفة، واتحاد الكلمة، وطرد وسوسة شياطين الإنس والجن التي تسعى في تفريق أهل الحق عن الحق، وطالب العلم الذي يسر الله له أن يعتصم بحبل الله، ينبغي عليه أن يكون في الحق حبلًا أن يجمع لا سيفًا يقطع، وإن مما يحقق ذلك: العلم النافع، فإن العلم النافع نور ينطفه به الظلام، وتندفع به الشبهات الشداد العظام، العلم النافع كالنخلة كل ما فيها

نافع، والجهل شجرة كل شجر، فما من شر يقوم إلا وهو يرتضع من لبن الجهل، ولذلك ينبغي على أهل السنة والجماعة أن يعظم اعتنائهم بالعلم النافع تعلمًا وتعليمًا ونشرًا وبثًا مع الاهتمام بدعوة الغير إلى الخير، فينبغي أن يقترن بالعلم النافع الأدب، أدب العلم طلبًا وأداء، وأدب التعامل، فإن الأدب حلم العلم، ولا شك أن العلم إذا عرى عن الأدب قد يسبب المفاسد العظام، وقد كان سلفنا الصالح يعتنون بالأدب أعظم من عنايتهم بالعلم، كانوا يعتنون بالعلم عناية كبرى، ولكنهم يعتنون بالأدب أعظم من عنايتهم بالعلم، ولذلك وصيتي لنفسي وإخواني أن نحرص على العلم النافع وأن نبقى نتعلم ما بقيت الروح في الجسد، مع الحرص على الأدب والعمل به.

أيها الإخوة إن الكتاب الذي بين أيدينا هو: "كتاب اعتقاد أهل السنة" للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الشافعي من شيوخ الشافعية، حتى لقب رَحِمَهُ اللَّهُ بشيخ الشافعية، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة (٣٧١هـ) من هجرة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو قريب عهد بالقرون المفضلة، بل إنه رَحِمَهُ اللَّهُ ولد في القرن الثالث الهجري وهو من القرون المفضلة، وكتابه هذا الذي بين أيدينا من الكتب التي أبانت عقيدة أهل السنة والجماعة التي اتفقوا عليها، وميزوها عن عقائد الفرق المخالفة بألفاظ بينة واضحة، وعقيدة أهل السنة والجماعة مطابقة للقرآن معنى وكثير منها مطابق للقرآن لفظًا، وهي موافقة لسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليها إجماع صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي موافقة للفطرة، فلا حيرة فيها، ولا اضطراب عند أهلها.

وهي موافقة للسان العربي لا اعوجاج فيها ولا حيدة عن قواعد اللغة العربية ومعانيها، وفيها الوسطية الحقة، وفيها لزوم الكتاب والسنة، وهي بعيدة عن الإفراط والتفريط، وينبغي لطالب العلم أن يعتني بدراسة العقيدة مهما كان تخصصه، إن تخصص في الفقه أو تخصص في اللغة أو تخصص في الحديث أو تخصص في التفسير، ينبغي عليه أن يعتني بدراسة العقيدة، وأن يكرر ذلك، وألا يمل من دراسة العقيدة؛ حتى قال بعض أهل العلم: إن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ من الكتب التي ينبغي كلما فرغ منها طالب العلم أن يرجع إليها، لا ينبغي علينا أيها الإخوة أن نمل من دراسة العقيدة ولا من تدريسها، ولا ينبغي لنا أن نخضع بالأقوال الباطلة التي تقول: إن سمعنا عن التوحيد كثيرًا، سبحان الله إن هذا لفضل وشرف، إن نبينا صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظل يدعو إلى التوحيد من أول يوم بعث فيه إلى آخر يوم له في هذه الدنيا، في اليوم الذي فارق فيه هذه الدنيا وهو الذي علم أصحابه رضوان الله عليهم كان يأمر بالتوحيد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وينبغي على لطالب العلم أن يحرص على أن توصيل عقيدة أهل السنة والجماعة إلى الناس بوجه باسم، ولسان بليغ، وأسلوب طيب على طريق نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال ربه له: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨]، الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شافعي المذهب في الفقه؛ حتى كما سمعنا لقب بشيخ الشافعية، والمتقدمون من أهل العلم على عقيدة واحدة، هي عقيدة صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن انتسبوا إلى إمام في الفقه، فإنهم يعلمون ويقررون أن عقيدة إمامهم هي عقيدة أهل السنة والجماعة، الإمام الإسماعيلي شافعي المذهب، وقد نقل في هذا الكتاب إجماع أهل السنة، أهل الحديث على هذه العقيدة، ومثله أيضًا عدد من أئمة الشافعية، كالمزني تلميذ الشافعي والآجروي الشافعي واللالكائي الشافعي، والصابوني الشافعي، ولا شك منصف أن عقيدتهم عقيدة أهل السنة والجماعة.

وإنك يا عبد الله لتعجب غاية العجب من أقوام ينتسبون للإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الفقه، ولا شك أنه إمام، ملئ الدنيا علمًا رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة، وقد أجمعت الأئمة على إمامته، لكن أولئك القوم ينتسبون إليه في الفقه ثم ينقصون عن عقيدته، وينتسبون إلى غيره، ويا للعجب إن كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على العقيدة التي اعتقدوها فلما ينسبونها إلى غيره وهو الإمام، وإن كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على عقيدة غير العقيدة التي هم عليها فيلزمهم أمران:

إما أن يسقطوا الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإمامة، فإن من فسدت عقيدته لا يصلح أن يكون إمامًا وحاشاه رَحِمَهُ اللَّهُ ورضي عنه أن تسقط إمامته.

والأمر الثاني: أن يترك اعتقادهم المخالف لعقيدة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا المتعين عليهم.

والإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ هنا ينقل عقيدة أهل السنة والجماعة، ولا شك أنه يعلم أن عقيدة الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ هي هذه العقيدة، وإلا لما اتخذه إمامًا، فنسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرينا والمسلمين الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وألا يجعله ملتبسًا علينا فنضل، نبدأ بقراءة هذا الكتاب وسنشرحه إن شاء الله شرحًا مختصرًا مفيدًا في أربعة مجالس.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(اعْلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ-)**، كل أمر عظيم يوطأ له أهل العلم بقولهم: اعلموا، أو بقولهم: اعلم، فمراد المصنف من قولهم: **(اعْلَمُوا)** أن يذكر أن هذه العقيدة مطابقة للحق مطابقة لازمة، فما فيها علم فعليك أن تعلمها علمًا مطابقًا للواقع، وأن تعتقدها اعتقادًا جازمًا، **(-رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ-)**، عادة العلماء التوطئة بما يقرب القلوب، ومن ذلك الدعاء لمن تخاطبه، فعندنا تخاطب إنسانًا ادع له بما يقرب قلبه، وبما يلين قلبه ليسمع كلامك، ويسمع الحق، **(اعْلَمُوا -رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ- أَنْ مَذْهَبُ)**، المذهب هو الطريق المسلوك، والمنهج المقصود به هنا ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة باتفاقهم.

(أَنْ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ)، يسمون أهل الحديث لأنهم يستدلون بالقرآن لا يفرقون بين آياته، ويستدلون بالأحاديث الثابتة لا يفرقون بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يردون حديثًا ثابتًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا علة له، ولا معارض له يساويه أو أقوى منه لا في عقيدة ولا في عمل، كل من عند ربنا، بل كل وحي من الله عَزَّ وَجَلَّ، فالعبرة عند أهل السنة والجماعة بالثبوت، ويفهمون ذلك بفهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك استحقوا هذا اللقب الشريف، وهذا الاسم العظيم المنير: أهل الحديث.

(أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)، يسمون أهل السنة لأنه يلزمون السنة ويأمرون بلزوم السنة، وسُموا بالجماعة لأنهم يجمعون على الحق، ويأمرون بالجماعة، ويلزمون الجماعة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **(الْإِقْرَارُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)**، الإقرار بالله، الإقرار عبر به المصنف وعدل عن قول: الإيمان، ومراده بهذا والله أعلم: أن يُبين أن الإيمان ليس تصديقًا مجردًا، وإنما هو تصديق مع تسليم وإذعان وانقياد، تصديق مع تسليم وخضوع وإذعان وانقياد، ولذلك الإيمان يدخل فيه الاعتقاد

والقول والعمل كما سيأتينا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، والإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ والإقرار بالله عَزَّ وَجَلَّ يكون بالإيمان بوجوده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يتفق عليه البشر، إلا من شذ مكابرة وعنادًا، وإلا فالآيات الدالة على وجود الله عَزَّ وَجَلَّ أظهر من أن تُنكر، الآيات النقلية والآيات الكونية والآيات الحسية، والآيات النفسية، كلها تدل على وجود الله عَزَّ وَجَلَّ.

ولذلك هؤلاء الملحدون الذين يزعمون أنهم لا يقرون بوجود الله عَزَّ وَجَلَّ هم مكابرون، وهم مستيقنون في أنفسهم بأنهم كاذبون، لكن لهم أغراض دنيوية منحرفة، يريدون الوصول إليه عن طريق هذه الدعوى الكاذبة التي يعلمون كذبها، ويدخل في الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ الإيمان بربوبية الله وتوحيده في ذلك، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من له الخلق والملك والرزق والتدبير، وأيضًا يدخل فيه الإيمان بألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتوحيده بهذا، وهو المعروف بتوحيد العبادة، وهو الذي جاء به الرسل وخالفهم أقوامهم فيه، وقاتلوا أقوامهم من أجله، ويدخل فيه كذلك: الإيمان في أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته على معانيها الظاهرة على الوجه اللائق بجلال الله وجمال الله وكمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في هذا الكتاب لم يذكر إلا توحيد الأسماء والصفات، فما السر في هذا؟ لماذا لم يذكر توحيد الربوبية؟ ولم يذكر توحيد الألوهية؟ فالجواب: أن توحيد الربوبية كان ولا يزال، يقر به كل إنسان إلا من شذ عنادًا ومكابرة، فلم يقع فيه في الحقيقة نزاع بين الرسل وأقوامهم، ولا يقع فيه نزاع إلا عند الشذوذ، وأما توحيد الألوهية فإنه في زمن الإسماعيلي والأئمة المتقدمين لم يكن فيه نزاع، بل كان الأمر مستقيمًا على توحيد الألوهية، وإنما وقع النزاع وظهرت الفرق في توحيد الأسماء والصفات، وفي هذا جواب عن سؤال يورده بعض الناس على سبيل الشبهة، ويقول: إن المتقدمين لم يذكروا توحيد الألوهية، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب اعتنى بتوحيد الألوهية، وذكر توحيد الألوهية، فنقول: إن المتقدمين ذكروا توحيد الأسماء والصفات واعتنوا بذلك تفصيلًا لأن الحاجة كانت داعية إلى ذلك، لأن الفرق المخالفة كانت مخالفتها في هذا الباب.

وأما في زمن المتأخرين فقد كثر الانحراف في توحيد الألوهية، وصار بعض الناس يعبدون غير الله وهم يظنون أنهم يعبدون الله، فكانت الحاجة داعية إلى تقرير توحيد الألوهية، وتكرير ذلك،

(الْإِقْرَارُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ)، الإيمان بملائكة الله عَزَّ وَجَلَّ يكون بالإيمان بوجودهم، وأنهم خلق خلقوا من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون، وأن عددهم كثير، لا يحصي عددهم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن الله يأمرهم ويرسلهم بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن ذلك أنه سبحانه كان يرسل جبريل عليه السلام بالوحي، نؤمن بما جاء فيهم تفصيلًا على وجه التفصيل، ونؤمن بما جاء فيهم إجمالًا على وجه الإجمال.

قال: (الْإِقْرَارُ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ)، الإيمان بالكتب هو تصديق الجازم بأنها عند نزولها حق وصدق من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيها الهدى والنور، أنزلت على الأنبياء عليهم السلام، نؤمن بها على سبيل الإجمال، ونؤمن بما ورد على سبيل التفصيل، ونؤمن أيضًا أن القرآن الذي أنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهيمن على تلك الكتب، وأن القرآن هو الذي حفظه الله، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]، وأن الكتب السابقة قد دخلها التحريف والتبديل، وما بقي فيها من خير لم يبدل رفع بالقرآن الكريم، وهيمن القرآن الكريم على كل تلك الكتب.

قال: (وَرُسُلِهِ)، الإيمان بالرسل، الإيمان بأنهم الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، والإقرار برسالتهم ونبوتهم، وأنهم صادقون لا يكذبون، الإقرار بمن فصل منهم على سبيل التفصيل، والإقرار بما أجمل عنهم على سبيل الإجمال.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَبُولُ مَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ وَمَا صَحَّتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا نَعْدِلُ عَمَّا وَرَدَ بِهِ وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ رَدِّهِ)، هذا بيان طريق أهل السنة والجماعة في دينهم كله، في تقرير عقيدتهم وفي تقرير عباداتهم، وفي تقرير معاملاتهم، وهو قبول ما في كتاب الله من غير تفريق بين آياته وقبول، ما صحت به الرواية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تفريق بين أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدين كله، لا يفرقون بين المتواتر والآحاد من حيث الحجية، بل الكل وحي، والكل حجة، والتفريق بين المتواتر والآحاد في الحديقة بدعة حادثة، ما كانت في زمن السلف الصالح رضوان الله عليهم، ويلزمون ذلك لزومًا تامًا، لا يعدلون

عنه، ولا يردون شيئًا منه، ولا يسع مؤمنًا أن يرد شيئًا من القرآن والسنة، إلا أن يعارض بمثله وتكون المعارضة في نظر المجتهد.

فيوفق بين الدليلين: كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد إليهما ولا يردان، هذا منهج أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا، كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرد إليهم ولا يردان، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ [النساء: ٥٩].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِذْ كَانُوا مَأْمُورِينَ بِاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَضْمُونًا لَهُمْ الْهُدَىٰ فِيهِمَا، مَشْهُودًا لَهُمْ بِأَنْ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، مَحْذُرِين فِي مُخَالَفَتِهِ الْفِتْنَةَ وَالْعَذَابُ الْأَلِيم)، أيها الفضلاء هذا تعليل عظيم للزوم أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة، وكأن سائلًا سأل الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ لماذا يلزم أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة بلا عدول عنهما، لماذا لا يطلقون لعقولهم العنان؟ لماذا لا يتحررون كما هي بعض الدعاوي الكاذبة الزائفة؟

فأجاب الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ بأن ذلك لأربعة أمور:

الأمر الأول: أنهم مأمورون أمر إيجاب وإلزام باتباع الكتاب والسنة، كما في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾ [الأعراف: ٣]، وقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ [آل عمران: ١٣٢].

الوجه الثاني والأمر الثاني: أن الهداية مضمونة باتباع الكتاب والسنة، ولا هداية فيما خالفهما، الكتاب والسنة نور فما يخالف الكتاب والسنة ظلام، فالضلال في مخالفة الكتاب والسنة، والهدى في اتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال سبحانه: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

الأمر الثالث: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يهدي هداية إرشاد ودلالة إلى صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الرابع: التحذير من مخالفته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان أن مخالفته تقود صاحبها إلى الفتنة، نعم والله إن أول الفتنة ترك ما عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما منتهاها فقد يصل إلى الشرك والعياذ بالله، ولذلك فسر جماعة من السلف الفتنة هنا بالشرك، أول الفتنة ألا يرى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاديًا له هداية دلالة، ثم يرى أنه أبلغ في معرفة الدين من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قد يبلغ به الأمر إلى أن يشرك بالله ويكفر بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومخالفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبب لاستحقاق العذاب الأليم، وسبب للذلة والمهانة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وجعل الذل والصغار على من خالف أمري» أخرجه أحمد وصححه الألباني، وقال ابن باز: ثابت، رحم الله الجميع.

فمن أراد العزة عليه بالسنة، من أراد العزة لقومه عليه بالسنة، من أراد العزة لبلاده فعليه بالسنة، أما من خالف الكتاب والسنة فلا ينتظر إلا الذلة، لا ينتظر إلا المهانة، والله إن صاحب السنة عزيز وإن كان فقيرًا، عزيز وإن كان عند الناس مستصغرًا، العزة قد جعلها الله لمن تمسك بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمهانة والذلة قد ضربها الله على من خالف سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه الأمور الأربعة ينبغي لطالب العلم أن يجعلها دائمًا على باله أن يتذكرها حتى يلزم الكتاب والسنة، ولا يحيد عن ذلك أبدًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَدْعُوٌّ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ)، هذا يتضمن أنهم يقرون لله بأسمائه الحسنى، وانها توقيفية، وأن لها معاني، وأنها تضمن صفات، وأن الله يدعى بها، يعتقدون ذلك فيدعون الله بأسمائه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، **قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَوْصُوف بِصِفَاتِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**، ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عرفنا بنفسه، عرفنا بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي هي صفات الجلال والكمال في كتابه الكريم وفي سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل عاقل يدرك أن كل ذات لا

بد أن تكون لها صفات، وأن الذي ليس له صفات هو العدم، ولذلك قال بعض السلف عن الذين ينفون صفات الله: أنهم يعبدون عدمًا.

فكل ذات لا بد أن تكون لها صفات، فالذي ليس له صفات إنما هو العدم، والمؤمن يصدق الله عَزَّ وَجَلَّ، ويصدق رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يقدم على قولهما شيئًا، فكل ما يخالف قول الله وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو جهل وضلال وظلام، سموه عقلًا أو غير ذلك، ولذلك أهل السنة والجماعة يؤمنون بأسماء الله وصفاته، بمعانيها الحقيقية الظاهرة على المعنى اللائق بجلال الله وبجمال الله وبكمال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من غير تعطيل ولا تحريف، ولا تمثيل ولا تكييف، فالصفات مبنية على التوقيف، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله -- ((٣٥:٣٧)) – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتجاوز القرآن والحديث، وذلك أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى غيب، **والغيب كما يعرف العقلاء يعرف بإحدى طرق ثلاث:**

الأولى: أن يشاهد، وهذا لا يكون في حق الله في الدنيا، كما سيأتينا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

والثانية: أن يرى مثله، فيعرف بمثله، فلو سألك سائل عن شيء في مدينة أخرى وله مثل في مدينتكم فإنك تقول: له مثل هذا، وبهذا يعرفه، مع أنه غائب عنه، وهذا أيضًا محال في حق ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿لَيس كَمثْله شَيءٌ وهوَ السَّميعُ الْبَصيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والثالثة: أن يخبر عنه عارف به صادق، وهذه الطريقة التي نعرف بها ربنا يقينًا، ولا يكون ذلك إلا بالقرآن والسنة، وليس وراء ذلك إلا الهوى والظن الذي لا يغني من الحق شيئًا، الأمر في هذا الباب إما وحي يتبع وإما هوى مبتدع، إما أن يكون الإنسان معي الوحي ومع اتباع الوحي وإما أن يكون مع الهوى والبدعة، هذا الباب مُحكم، فالأمر فيه أحد أمرين: إما وحي يتبع وإما هوى مبتدع.

قال رحِمهُ اللَّهُ: (خُلِقَ آدَمُ بِيَدِه)، نعم أهل السنة والجماعة يثبتون اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَك أَنْ تَسْجُدَ لمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، يعني ما منعك يا إبليس أن تسجد لمخلوق خلقته وشرفته من بين المخلوقات التي خلقتها بكن أني خلقته بيدي، وما ذاك إلا لمخلوقات قليلة شرفها الله عَزَّ وَجَلَّ بذلك، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: خلق الله

أربعة أشياء بيده: العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن، هذه الأمور الأربعة خلقها الله بيده تشريفًا لها وإظهارًا لشرفها، تلحظوا يا إخوة أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ما قال إبليس لربه: وأنا كذلك، ما قال: وأنا كذلك، لو كان الخلق بالقدرة لقال: وأنا كذلك، لو كان الخلق بكن لقال إبليس: وأنا كذلك، لكن إبليس أعلم بكلام الله من كثير من الناس.

فأهل السنة والجماعة يثبتون اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يدان على وجه الحقيقة، على ما يليق بجلال وجمال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (وَيَدَاه مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا اعْتِقَادِ الْكَيْف)، قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]، بالمناسبة علماء الأداء في القرآن يقولون: إن لتلاوة القرآن آدابًا، يلحظ فيها مضمون الآية، فقراءة كلام الله أعني قول الله في الآيات ليس مطلق كلام الله الذي هو القرآن، يلاحظ فيها الأدب، وكلام المخالفين يلاحظ فيها أيضًا الأدب، ومن ذلك مثلًا أنهم ذكروا في هذه الآية في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، قالوا: يخفض بها الصوت، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤]، قالوا: يرفع بها الصوت، وهذا عند أهل الأداء يسمى بآداب التلاوة، يلحظ فيه المضمون.

على كل حال قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فيدا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ملآى مبسوطتان ينفق كيف يشاء، لا ينقض ذلك من ملكه شيئًا، وهذه الآية نص في أن يد الله يد حقيقية، لأن الذي يقبض ويبسط هو اليد الحقيقية، وكل ما أول به المؤولون لا يمكن أن يقال فيه: يقبض ويبسط، فهذه الآية نص في أن يد الله يد حقيقية، ولذلك جاء بها الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هنا؛ أعني معناها.

طبعًا قال: (بِلَا اعْتِقَادِ الْكَيْف)، هذه النقطة لا بد أن نفهمها: (بِلَا اعْتِقَادِ الْكَيْف)، أي من غير تكييف، لم؟ لما قدمناه أن الله غيب، والله عَزَّ وَجَلَّ لم يخبرنا بالكيف، ونحن على يقين أن الله أخبرنا

بما يصلحنا، وما لم يخبرنا الله به فذلك لحكمة عظيمة، الله عَزَّ وَجَلَّ لا يسأل في باب صفاته عنه بكيف، **وكيف يراد بها أمران:**

الأمر الأول: معرفة الكيفية، كيف يعني ما كيفية هذه الصفة.

والأمر الثاني: الاعتراض، لو قلت لكم مثلًا: البارحة سرت من إندونيسيا إلى السعودية بلا طائرة، كلكم ستقولون: كيف؟! هذا لا تسألوني كيف لأنكم تعتقدون أن هذا حصل، لكن هذا اعتراض، فعندما يسأل بكيف يراد به أحد هذين الأمرين أو الأمران جميعًا، وهذا لا يجوز في باب صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا السؤال عن الكيفية ولا سؤال الاعتراض، والذي ينفى إنما هو التكييف، والسلف الصالح رضوان الله عليهم كانوا ينفون السؤال بكيف ويرون ذلك بدعة، ولا شك أنه طريق فساد، وطريق انحراف في باب أسماء الله وصفاته.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (**وَأَنَّه جَلَّ وَعَلَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ بِلَا كَيْفٍ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْهَىٰ إِلَيَّ**)، وفي بعض النسخ: إلي، يعني إلي بالآيات والأحاديث، (**أَنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ، وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ اسْتِوَاؤُه**)، العرش في لغة العرب هو سرير الملك، قال تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، وعرش الرحمن هو سرير الملك، له قوائم مخلوق عظيم، لا يعلم قدره إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله سبحانه ربه، فهو رب العرش العظيم، فهو مخلوق وهو أول المخلوقات على الراجح، فيه اتساع عظيم، وعلو وحسن باهر، وبهاء ظاهر، وهذا العرش العظيم تحمله الملائكة، فالله ربنا قد استوى على عرشه، كما جاء ذلك نصًا في سبعة مواضع من القرآن، والسلف وهم أعلم الأمة بالقرآن والسنة، وأعرف بلغة العرب، وأعلم بما يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عرفوا استووا هنا بمعنى علا وارتفع وصعد واستقر.

وهذا في غاية الكمال، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]، ونحن نؤمن باستواء ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على ما يليق بجلال ربنا وجماله وكماله، لا نؤول ولا نشبه ولا نكيف، نقول كما قال سلفنا: الاستواء معلوم غير مجهول المعنى، لا في لغة العرب ولا في فهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق، والسؤال عن الكيف بدعة، ونفي الاستواء بدعة، وتأويل الاستواء بدعة، كل ذلك

مخالف لنص الكتاب والسنة، وما أجمع عليه صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنك يا عبد الله لتعجب من قوم يعمدون إلى قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرَّحْمَن عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾ [طه: ٥]، والاستواء فيه معدى بعلى التي هي في لسان العرب نص في الارتفاع، ولا يمكن أن تأتي في لغة العرب بغير هذا المعنى، فيؤولونها بـ استولى، فيا العجب.

هل يقال: استوى الرحمن على الأرض؟ هل يقال: استوى الرحمن على القمر؟ لا والله لا يقال، لم يرد ذلك ولا يقوله أحد، ما سمعنا أحدًا يقوله، ولو كان معنى استوى استولى لساغ أن يقال ذلك، لساغ أن يقال: استوى على الأرض، استوى على القمر، ولكن هذا ممتنع في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، ثم كل عاقل يدرك أن الاستيلاء فرع المغالبة، فمعنى الاستيلاء أن يغالب على شيء فيغلب واحد فيستولي عليه، وهذا محال في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمن الذي غالب الله من خلقه؟! لا والله ما كان ولا يكون، ثم سبحان الله من أين جاؤوا به؟ ما وجدوه في الكتاب ولا وجدوه في السنة، ولا وجدوه في صحيح الشعر، ولا وجدوه في فصيح اللغة، ولا وجدوه في لسان صحابي، ولا وجدوه في لسان تابعي، وجدوه في بيت ينسب إلى نصراني وهو الأخطل، ليس من أهل الديانة، ولا من أهل اللغة.

وأعظم من ذلك وأطم أن هذا البيت مصنوع وليس من شعر الأخطل، وليس في ديوان الأخطل، مع كل هذا السقوط هو أصلصا مصنوع منحول، ليس من شعر الأخطل، فالمؤمن يؤمن بأن ربه الرحمن قد استوى على العرش على المعنى الحقيقي اللائق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (وَلَمْ يَذْكُرْ كَيْفَ كَانَ اسْتِوَاؤُه)، كما قلنا: يعني في مسألة التكييف.

قال: (وَأَنَّهُ مَالِكُ خَلْقِه، وَأَنْشَأَهُمْ لَا عَنْ حَاجَةٍ إِلَىٰ مَا خَلَقَ، وَلَا لِمَعْنًى دَعَاهُ إِلَىٰ أَنْ خَلَقَهُمْ، لَكِنَّه فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَالْخَلْق مَسْئُولُون عَمَّا يَفْعَلُونَ)، الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الخلق وأنشأهم من العدم، وهو المالك لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال ربنا: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وهو الغني عن كل خلقه، وكل خلقه فقراء إليه، خلقهم بحكمة ولحكمة، فربنا سبحانه لا يفعل شيئًا عبثًا، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون (٥٦)﴾

[الذاريات: ٥٦]، وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل، لم؟ لكمال فعله، وكمال حكمته، فلا مجال لأحد أن يسأله، لا مجال، الله عَزَّ وَجَلَّ عليم حكيم، فمن ذا الذي يسأله؟! علمه محيط كامل شامل، وحكمته تامة، ففعله عن علم محيط، وحكمة تامة، فلا يسأل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم هو سبحانه سيد مالك، والخلق عبيد مملوكون، والخلق خلقه والأمر أمره.

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يريد كونًا وقدرًا وشرعًا وأمرًا لحكمة، لا يخلو خلقه وفعله عن حكمة، ولا يخلو أمره وشرعه عن حكمة، فهما أراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حم به حكمًا موافقًا لحكمته، وهو سبحانه يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، فمهما فعل فعدل وحكمة، كما قال ربنا سبحانه: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠]، فالله يفعل ما يشاء بلا عجز، وهو على كل شيء قدير، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له القدرة الشاملة الكاملة، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثم ألحظوا يا إخوة أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (وَأَنَّهُ مَدْعُوٌّ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَمَوْصُوف بِأَسْمَائِهِ الَّتِي سَمَّىٰ وَوَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَسَمَّاه وَوَصَفَه بِهَا نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هل مر بكم هذا؟ هل مر هذا؟ قبل قليل، وهذا في الحقيقة تكرار، تكرار لنفس الجملة، وأيضًا ستلحظون أنه فصل بين كلامين متصلين مما يؤكد أنه تكرار، ولعل سبب ذلك والله أعلم يرجع إلى أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يُملي، والذي يُملي يكرر أحيانًا كلامه، ويقول كلامًا ثم يرجع إليه، كما تلحظون في دروس جميع المشايخ، تجد أن الشيخ يقرر شيئًا ثم ينتقل إلى شيء ثم يعود إلى الذي قبله لأنه رأى مثلًا أنه ما أبانه جيدًا أو نحو ذلك، فلعل هذا والله أعلم هو سبب ذلك، أو أن هذا وقع سهوًا من الناسخ، فالذي ينسخ وخاصة الذي يكتب يحصل له ذلك، فيقع نظره على نهاية كلمة تشبهها كلمة قبلها فينقل الكلام سهوًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)، هذا الذي قلته لكم أنه متصل بالذب قبله، وقد تقدم الكلام عنه في الكلام الذي قبله، قال رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَلَا يُوصَفُ بِمَا فِيهِ نَقْصٌ أَوْ عَيْبٍ أَوْ آفَةٍ؛ فَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ)، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزه عن النقص والآفات والعيوب، فصفاته الثابتة في الكتاب والسنة كلها أوصاف كمال، ومن فهم منها نقصًا فذلك

لسوء فهمه، وسوء معرفته بلغة العرب، وسوء معرفته بالكتاب والسنة، وسوء أدبه مع ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا شك أن كل مؤول للصفات أو ناسٍ لها فهم منها نقصًا، دعاه إلى نفيها أو تأويلها، فكان ما فر منه فهو النقص في إثباتها ليس واقعًا، كان ما فر منه وهو النقص في إثباتها ليس واقعًا، وما فر به يستلزم نقصًا في سببه وفي حقيقته، يستلزم نقصًا في سببه الذي دعا إلى التأويل، وفي حقيقته، ثم إن كل وصف كمال للمخلوق لا يستلزم نقصًا فخالقه أولى به، كل وصف كمال للمخلوق لا يستلزم نقصًا فخالقه وواهبه ذلك الكمال أولى به.

وقولنا يا إخوة: لا يستلزم نقصًا احتراز من الكمال في نظر المخلوقين الذي هو نقص فيهم، فالولد فإن الذي يولد له ولد هذا وصف كمال عند الناس وذلك لنقص المخلوق فإنه يحتاج إلى من يكمله، يحتاج إلى ولده، فهو وصف كمال عند الناس، لكنه يستلزم نقصًا، وهذا منهي في حق الله عَزَّ وَجَلَّ، وكل نفي ورد في باب الصفات في الكتاب والسنة فليس نفيًا محضًا، فإن النفي المحض تمدح به، يعني ما عرفنا مثلًا لو سألت عن إنسان تقول: ما شاء الله تبارك الله إنه ليس أصم، إنه ليس أبكم، إنه ليس، هذا ما يستخدم في المدح، وإنما الذي يستخدم في الثناء والمدح هو الإثبات الذي فيه الوصف، كل نفي ورد في باب الصفات فليس نفيًا محضًا، وإنما يُراد به إثبات كمال ضده، كما في قول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، المراد: بيان تمام عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أو يُراد به: رد سوء أدب المبطلين، يعني إما أن يُراد به إثبات كمال ضده، أو يراد به رد سوء أدب المبطلين، كما في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، ثم ألحظوا أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قال: **(وَخَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِهِ، وَيَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا اعْتِقَادِ كَيْفَ يَدَاهُ؛ إِذْ لَمْ يَنْطِقْ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ بِكَيْفٍ)**، الفقرة الحادي عشرة، الفقرة الثانية عشر مكررة فقد تقدما، والعذر في ذلك ما قدمناه، ومام يزيدك يقينًا من هذا أنه زاد بعض الكلمات المبينة هنا في قوله مثلًا: **(إِذْ لَمْ يَنْطِقْ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ بِكَيْفٍ)**، فهذا يدل على أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ كان يكرر الكلام لزيادة الإفهام، ولتأكيد المعنى، وهذا أقرب من القول بأنه سهو من الناسخ.

ثم ألحظ أن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: (وَلَا يَعْتَقِدُ فِيهِ الْأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ، وَلَا الطُّولَ وَالْعَرْضَ، وَالْغِلَظَ وَالدِّقَّةُ)، ليست هذه عادة السلف في كتبهم، فلماذا قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هذا؟ أراد رَحِمَهُ اللَّهُ أن يُبين أن ما يقوله المبطلون من النفي المفصل في باب الصفات الذي يجعلونه سلمًا لنفي الصفات باطل، يبطلون منهجهم عكس منهج القرآن والسنة ومنهج السلف، عندهم النفي مفصل، وسبب هذا النفي المفصل أنه يريدون بذلك الوصول إلى نفي الصفات، فأراد الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الكلام أن يُبين أن طريقتهم باطلة في ذاتها وفي نتيجتها، فالسلف لا ينفون في باب الصفات نفيًا مفصلًا، بل ينفون نفيًا مجملًا بحكم تدعو إلى ذلك على نهج القرآن وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وما يقوله المقولة من أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم، كل الذين يخالفون أهل السنة والجماعة في باب الصفات لماذا يصفون أهل السنة والجماعة؟ لأنهم مجسمة، أراد الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الكلام أن يُبين أن ما يقوله المؤولة من أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم باطل قطعًا، ويقال لهم: أأنتم أعلم أم الله؟ وهل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم ما تقولون أو أرشد الأمة إلى ما تزعمون؟ لا ورب الكعبة، وهل الصحابة رضوان الله عليهم فهموا ما تقولون أو أولوا كما تؤولون؟ لا ورب الكعبة، فعندما قال الإسماعيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا يَعْتَقِدُ فِيهِ الْأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ ولا العرض والغلظ والدقة)، أراد أن يقول: إن إثبات الصفات ليس فيه تجسيم، ولا يؤدي إلى التجسيم، ولم يفهم سلف الأمة من إثبات الصفات التجسيم.

قال: (وَنَحْوُ هَذَا مِمَّا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي الْخَلْقِ، فَأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١])، سبحان ربنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، تنزيه لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الشبيهة وعن المثيل، في هذه الآية نزه الله نفسه عن الشبيه وعن المثيل، والشبيه هو المقارب والمثيل هو المطابق، يقولون: أين ذلك؟ نقول: ذلك في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ [الشورى: ١١]، الكاف فيها نفي التشبيه، لأن الكاف تستعمل للتشبيه، ولذلك الذين يقولون: إن الكاف هنا زائدة ويضربون ذلك مثالًا للمجاز هم مخطئون في هذا، فإن الكاف هنا ليست زائدة، بل لها معنى مقصود،

وهو: نفي الشبيه، ونفي المثل في قوله: ﴿كَمِثْلِهِ﴾ [الشورى: ١١]، فالله عَزَّ وَجَلَّ ليس له شبيه وليس له مثيل، فلا يجوز في حقه التشبيه ولا يجوز في حقه التمثيل، لا يجوز في حقه سبحانه التشبيه، فيقال: يشبه كذا أو تشبه كذا، صفته تشبه كذا، ولا التمثيل، فيقال مثلًا: صفته مثل كذا ونحو ذلك.

وهو سبحانه السميع البصير، رد على المعطلة والمؤولة الذين يعطلون الصفات أو يؤولون الصفات لاعتقادهم أن الصفات تستلزم التشبيه، هذا رد على الطرفين، رد على المشبه والممثلة ورد على المعطلة والمؤولة، ويبقى أهل السنة، ما تبقى إلا عقيدة أهل السنة والجماعة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منزه عن صفات النقص مطلقًا، كالسنة والنوم وغير ذلك، وهو سبحانه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يماثله ولا يشابهه شيء من مخلوقاته في صفاته إلا في القدر المشترك، القدر المشترك الذي يُفهم من المعنى العام، يعني في حقيقة اليد، أما أن تشبه الصفة بالصفة ونحو ذلك، فهذا منفي في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (تَبَارَكَ وَجْهِ رَبِّنَا ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)، كما قال ربنا: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨)﴾ [الرحمن: ٧٨]، فربنا سبحانه ذو الجلال والعظمة والكبرياء، فتعاظم سبحانه وكثر خيره وتفضل على عباده بالنعم والآلاء، وقال سبحانه: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ [الرحمن: ٢٧]، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حي لا يموت، وله سبحانه وجه نعته سبحانه بأنه ذو الجلال والإكرام، فيبقى وجه الحي الذي لا يموت ذو الجلال والإكرام، **وفي ذلك:**

أولًا: إثبات لحياة ربنا على وجه الكمال.

وإثبات الذات لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **هذا ثانيًا.**

وثالثًا: إثبات الوجه لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعبر ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالوجه للدلالة على حياته ليعلم الناس أن له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجهًا، فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الحياة الذاتية الكاملة التي ليس لها انقطاع ولا انتهاء، فلا تنقطع بنوم مثلًا، حياة الإنسان حتى وهو جالس في الدرس تنقطع بالنوم، فيغيب عنا، فهذا يقول العلماء: النوم انقطاع للحياة، فهو الموتة الصغرى، فحياة ربنا حياة كاملة لا تنقطع بالنوم، فإنه سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا انتهاء لها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال العلماء: في اسم الله الحي صفات كمال، وإضافة

الوجه إلى الله هنا إضافة وصف، يا إخوة إضافة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إما أن تكون إضافة ذات مستقلة، فتكون الإضافة إضافة تشريف، الكعبة بيت الله، الكعبة ذات مستقلة معلومة، أضيفت إلى الله من بين المخلوقات التي خلقها الله، هذه الإضافة إضافة تشريف، أما إذا كانت الإضافة إضافة وصف فهذا توصيف، إضافة الذات المستقلة إلى الله تشريف، وإضافة الوصف إلى الله توصيف.

هذه قاعدة أهل السنة والجماعة، وهذا مقتضى الكتاب والسنة ولغة العرب، ووجه ربنا سبحانه موصوف بأنه ذو الجلال والعظمة، والهيبة والإكرام، وقد أجمع السلف على إثبات الوجه لله حقيقة، على ما يليق بجلال الله عَزَّ وَجَلَّ مع التنزيه عن التشبيه والتكييف، ونحن نقول بذلك بألسنتنا ونصدق ذلك بقلوبنا، والمعلوم يا إخوة لكل عاقل أنه لا يلزم من إثبات الحقيقة وجود التشبيه قطعًا، لا يلزم من إثبات الحقيقة وجود التشبيه، وأنا أضرب لكم مثالًا للتقريب: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، وجه الإنسان هل يقول أحد أنه ليس حقيقيًا؟ كل يقول: وجه حقيقي، وجه البقرة؟ وجه حقيقي بالاتفاق، وجه الحمار؟ وجه حقيقي بالاتفاق، هل يفهم عاقل أن وجه الإنسان يشبه وجه البقرة؟ هل لو إذا قلت لواحد أنت لك وجه حقيقي، قال: تشبهني بالبقرة، هل يفهم عاقل أن وجه البقرة الحقيقي يشبه وجه الحمار؟ وأنه ما ينفك التشبيه إلا بالمجاز؟ يعني هل في عاقل إذا قلت له وجه بقرة يذهب ينظر فيها ويذهب ينظر في وجه الحمار.

كذلك عندما نقول مثلًا: يد الإنسان، بالاتفاق هي يد حقيقية، يد الفيل؟ بالاتفاق يد حقيقية، يد النملة؟ بالاتفاق يد حقيقية، ما قال أحد أن هذا مجاز وهذا حقيقة، هل هذا يستلزم التشبيه، قطعًا لا يستلزم التشبيه، فالتلازم بين إثبات الحقيقة والتشبيه وهمي، قاد إلى مفاسد عظيمة، يُمكن قطعًا للإنسان أن يعتقد الحقيقة مع نفي التشبيه، ومع انتفاء الشبه، وهذا أمر واضح جدًا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرُ اللهِ كَمَا يَقُولُهُ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ وَطَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ)، هناك طوائف من أهل البدع قالوا: الاسم غير المسمى، وهذا يلزم عليه لوازم باطلة، قابلهم أناس قالوا: الاسم عين المسمى، وهذا أيضًا يلزمه لوازم باطلة، وفصل أهل السنة فسلموا من هذه اللوازم ومن تلك اللوازم، إذا قلت: إن الاسم غير المسمى يلزم أن تقول: إن أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ غيره، لأن الاسم غير المسمى، وما كان غير الله فهو مخلوق، فهؤلاء الجهمية والمعتزلة

ومن لف لفهم الذين أطلقوا أن الاسم غير المسمى قصدهم أن أسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق، وهذه المقولة محدثة فاسدة بذاتها، فاسدة بلوازمها، ولذلك قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة"، ولازمه الذي قصدوه باطل.

فإن لازمه ألا يكون لله اسم، ولا تكلم بكلام، بل كل ذلك مخلوق بائن عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولما كانت هذه المقولة مبتدعة وكان يترتب عليها مفاسد، ولا حاجة إليها وإلى الخوض فيها رأى بعض السلف ألا يتجارى مع أهل البدع في هذا، حتى قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وأما القول في اسم فهو المسمى أم غير المسمى فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع ولا قول من إمام يستمع، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين، وحسب امرئ من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الله عَزَّ وَجَلَّ ثناؤه، وهو قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]"، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن الاسم تارة يُراد به الاسم، وتارة يُراد به المسمى، فإذا قلت: قال الله، فإنك هنا تُريد المسمى، لو قلت مثلًا: قال عبد الله، فإن جميعًا نفهم أن المقصود المسمى بعبد الله، وتارة يُراد به الاسم، فإذا قلت: الله اسم عربي، أو قلت: الله عربي، فإن كل عاقل يُدرك أنك تقصد أن الاسم عربي.

فهنا يُراد به الاسم، وإذا فصل زال الإشكال، فلا يقال: الاسم غير المسمى بإطلاق، ولا يقال: الاسم عين المسمى بإطلاق، بينما يفصل على ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، طبعًا كل ما ذكره الإسماعيلي في هذه العقيدة هو ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، يعني عليه إجماعهم، فهو ينقل الإجماع إجماع أهل السنة والجماعة.

قال: **(وَيُثْبِتُون لَهُ وَجْهًا وَسَمْعًا وَبَصَرًا)**، الوجه تقدم الكلام عليه، والسمع والبصر قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [النساء: ٥٨]، فربنا سبحانه سميع له سمع، وبصير له بصر، **والسمع المثبت لربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوعان:**

الأول: سمع عام يشمل جميع المسموعات، فسمعه سبحانه شامل يسمع كل صوت، وكل حرف، بكل لغة، فالحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، فالذي لا يختلط عليه كلام بكلام، ولا

تغيب عنه لغة، ولو اجتمع الناس جميعًا في صعيد واحد في وقت واحد يدعونه سبحانه كل بلسانه لسمع الله عَزَّ وَجَلَّ كل حرف لكل سائل، وعلم وسمع حاجة كل سائل، لا يختلط عليه سائل سائل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والنوع الثاني: سمع خاص، وهو أيضًا قسمان، سمعًا خاصًا ليس عامًا، **وهو قسمان:**

الأول: سمع الإجابة والقبول، فعندما نقول في الصلاة: سمع الله لمن حمده، ليس المقصود هنا الخبر عن السمع العام، وإنما المقصود هنا ذكر سمع الإجابة والقبول، فسمع معناه: سمع فأجاب، والعلماء يقولون: هذا السمع إن أثبت تضمن إثبات الإجابة، وإن نفي فهو نفي للإجابة دون السمع، عندما تقول: سمع الله دعاؤك على سبيل الإثبات، هذا مثلًا لو قلت مثلًا: لو أن إنسانًا محرومًا من الولد، فقال: اللّهم أرزقني ولدًا، وألح على الله في الدعاء، وإذا بامرأته حامل، نقول له: سمع الله دعاؤك، سمعه وأجابه، وإذا لم يحصل المقصود، إنسان يدعو الله دعا الله أن يرزقه ولدًا، دعا وهو يصلي، دعا وما حصل، فيقول له صاحبه: ما سمع الله دعاؤك لحكمة، هذا نفي للإجابة وليس نفيًا للسمع، لأن الله سمع لكنه لم يسمع سمع إجابة.

إذًا هذا السمع الخاص القسم الأول منه: هو سمع الإجابة، إثباته إثبات للسمع والإجابة معًا، ونفيه نفي للإجابة دون السمع.

والقسم الثاني: سمع النصر والتأييد والإعانة، كقول ربنا لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، فهذا السمع يُراد به أن الله يسمع لهما ويحفظهما ويؤيدهما ويعينهما، والبصير اسم الله تعالى، فهو البصير الذي كُمل بصره، وأحاط بكل المبصرات، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُدرك الأبصار، ويرى الخفي مهما خفي، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء في ظلمة الليل الحالكة، فسبحانه يرى دقيق عظمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويرى الظاهر، استوى في بصره الخفي والظاهر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَعِلْمًا)، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عليم، وعليم فعيل من العلم، أي ذو العلم المحيط الكامل الشامل الذي أحاط بكل شيء علمًا، لا يعزب عن علم ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيء، احاط بالظواهر والبواطن، وما يظهر وما يخفى، وبالماضي والحاضر والمستقبل والكائن وغير الكائن لو كان كيف

يكون، والممكن والمحال والكثير والقليل، والصغير والكبير، ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها﴾ [سبأ: ٢]، ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ [فاطر: ١١]، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا.

إني لأعجب منا وأعجب من العباد كيف لا يستحون من الله، وقد علموا أن الله يسمع كلامهم كله، والله لا تتخفى بكلامك عن الله، إني لأعجب منا ومن حمقنا كيف أن الواحد منا يتستر عن الناس ليكتم كلامًا أو يقول بهاتفه قولًا ولا يستحي من الله، فالله يسمع كلامه وحروفه، إني لأعجب من حمقنا كيف أن الواحد منا يتخفى بالمعصية حتى لا يراه أحد، وهو والله لن يكون في مكان لا يراه فيه أحد، فالله يراه حيث كان، يعلم ما يفعل، ويسمع ما يقول، لا تخفي عليه خافية، والإنسان كادح إليه وملاقيه ولا بد، سبحان الله يا إخوة إذا لا تعظم الخشية لربنا في قلوبنا ونحن نعلم أنه يرانا حيث نعصيه ويُنعم علينا، ما سلب منا نعمته ونحن نعصيه، والله لو شاء لسلب عنا النفس، سلب عنا القدرة، سلب عنا القوة، لكنه سبحانه حتى مع معصيتنا له يُنعم علينا، يسمع كلامنا، ثم ما منا من أحد إلا سيقف بين يديه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب، يُعرض عليه ما مقدم، كيف ما نستحي من الله؟! كيف ما تعظم خشيتنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كيف تكون خشيتنا للناس أعظم من خشيتنا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يا إخوة هذه الصفات ليست اعتقادًا فقط، أهل السنة والجماعة يعتقدونها اعتقادًا جازمًا بمعانيها الظاهرة الحقيقية على ما يليق بجمال وجلال وكمال الله عَزَّ وَجَلَّ، ويظهر أثر هذا الاعتقاد في أعمالهم، في خشيتهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهؤلاء هم العلماء الذين أثبتت لهم الخشية، ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨].

عرفوا وآمنوا واعتقدوا وأثر ذلك في أقوالهم، وأثر ذلك في أفعالهم، هم بشر كسائر البشر، يحبون اللذائذ، وتشق عليهم الشدائد، لكنهم تميزوا عن البشر بأنهم اعتقدوا أن ربهم سميع بصير عليم، وأنهم موافون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأحسنوا سيرهم، لزموا الطاعات، واجتنبوا المحرمات، وأقبلوا على الله استحوا من الله أن يعصوا الله بنعم الله في نعم الله، وتذكروا أنهم سيقفون بين يدي

الله، ليس بينهم وبينه ترجمان ولا حجاب، فها لهم كيف يعرض ربهم عليهم معصيتهم له ماذا يقولون؟! فقدموا لأنفسهم في الدنيا فسابقوا في الخيرات، وكانوا آخر الصف في طلب المحرمات، العلم أيها الإخوة إذا لم يحرك القلوب ففي طلبه خلل، فعلينا أيها الإخوة ونحن نتعلم العقيدة أن نستحضر هذه المعاني الجليلة التي تغير حياتنا، تجعلنا أسرع في الطاعة وأبطئ في المعصية، تجعلنا حريصين على أن يرانا الله في كل أمر أمر به، نحرص على أن نكون من أوائل الناس في المسجد، فتجعلون حريصين على ألا يرانا الله في كل أرم نهى عنه، نستحي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل علمنا نافعًا، وأن يجعل هذا العلم قائدًا لنا إلى جنة رب العالمين.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَى وأَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ